النظرة الكلية لبناء النص الشعري في النقد العربي القديم

م. عدنان مشعل رشيد
جامعة الأنبار– كلية القانون والعلوم السياسية

المستخلص

يُعدُّ البناء الكلي للنص الإبداعي منهجاً نقدياً قائماً على وضع خطوات ومراحل النص الإبداعي، إذ أبان هذا البحث عن جهود النقاد في التخطيط المسبق لعملية البناء، وإن نظم الشعر لم يكن عفو الخاطر ولا في لحظة إلهام لا صلة للوعي بها ، وإن أول من أشار لهذه العملية ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (الشعر والشعراء) ، والذي وقف وفصَّل القول فيها ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه (عيار الشعر)،ثم أتبعه حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في كتابه (منهاج البلغاء) الذي اقترب فيه كثيراً من ابن طباطبا وكتابه (عيار الشعر) في خطوات البناء ومراحله.

الكلمات الرئيسية: النقد الادبي العربي, نقد الشعر , نظريات فنية

Abstract

The entirely construction for the creative text is a critical approach based on the development steps and stages of the creative text, this research has shown the critics efforts in pre-planning of reconstruction process. The poetry construction was not spur and not in a moment of inspiration unrelated to the awareness of it. The first one who referred to this process was Ibn Qutaiba(Date: ٢٧٦ AH) in his book(Poetry and Poets), when Ibn Tabatba Al-Alaway stopped and detached the speech(Date: ٣٢٢ A.H) in his book (Poet Caliber), then Hazem Alqirtagni (date:٦٨٤ AH) in his book (Rhetoricians Program) who was very closed from Ibn Tabataba and his book (Poet Caliber), in the construction steps and its stages.

Key Words: Arabic Literary Criticism, Criticism of Poetry, Aesthetic THeories

مقدمة

إنَّ القصيدة العربية وبحسب النقاد القدامى والمحدثين تتكون من عدة أجزاء :حسن الابتداء ، حسن التخلص, حسن الختام، وما أشبه ذلك من المسميات. وذهب بعضهم إلى أن الوحدة العضوية الكلية في القصيدة القديمة موجودة على الرغم من تعدد أقسامها ، كما أن الشعر أخذ يقاس استناداً إلى هذا المقياس . إذ أنَّ الكثير من علماء الأدب ونقاده كانوا يستحسنون القصيدة التي تتوافر فيها الروابط التي تجعل منها عملاً فنياً متكاملاً ، حتى إنَّ الكثير منهم طبَّق هذا المفهوم على القصيدة في اثناء الحكم عليها.

إنَّ اهتمام النقاد بهذه الأجزاء وترابطها داخل القصيدة العربية يدل على وجود منهجية مرسومة في ذهن الشاعر قبل الشروع بعملية بناء النص؛ لإقامتها على نسق واحد يجمع بين أطرافها , حتى تكون وكأنَّها منظومة في سلك واحد.

إن أول من أشار إلى مفهوم البناء الكلي للقصيدة ابن قتيبة في اثناء حديثه عن قصيدة المديح ثم ابن طباطبا الذي فصل القول فيه , وباستثناء ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي لا نكاد نجد ناقدا حتى منتصف القرن الخامس الهجري أولى البناء الكلي للقصيدة الاهتمام الذي يستحقه , وما أن نصل إلى حازم القرطاجني حتى نجد أنَّ مفهوم البناء الشعري عنده يقترب إلى حدٍّ كبير من مفهومه عند ابن طباطبا العلوي؛ لذا ستتركز هذه الدراسة على ابن طباطبا وحازم؛ لأنهما تقاربا في المفهوم البنائي وجعلوه نصب أعينهم .

البناء الكلي للنَّص الشعري

لم يدرس النقاد القدامى البناء الكلي للقصيدة العربية, إذ إنَّ جهودهم انصبت في أغلبها على أجزاء القصيدة منفصلة إلا أنَّ هناك ثمة إشارات وصلت إلينا يمكن أن نعدها محاولة أولى لتقديم تفسير للبناء الكلي للقصيدة أولها في حديث ابن قتيبة عن قصيدة المديح إذ قسَّم القصيدة على أقسام هي : ذكر الديار والنسيب والمديح, وفسر الدوافع النفسية التي دعت الشعراء إلى تعدد الموضوعات وطالب بالتناسب بين هذه الأقسام [١].

ويرى أحد النقاد المعاصرين أن الشاعر في رأي ابن قتيبة : (كان يتصور عمله وحدة متصلة الأجزاء يسلم الواحد منها إلى صاحبه ويتقدم بعضه بعضاً؛ لأن ذلك هو الترتيب الطبيعي , فلم يكن يعتقد أن قصيدته أخلاط متفرقة لا وافق بينها ولا انسجام)[٢].

نستطيع أن نفهم من نص ابن قتيبة أنه ينظر إلى بناء القصيدة على أنه كل متكامل من خلال مطالبته بالتناسب بين أجزاء القصيدة , ولم يكتف بالتناسب بين الأجزاء وإن الجزء يرتبط بالآخر وإنما طالب بارتباط ابيات القصيدة إذ رأى أن : (التكلف في الشعر ... أن ترى البيت فيه مقروناً

بغير جاره ومضموماً إلى غير لفغه , ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك , قال: بم ذلك ؟ فقال : لأني أقول البيت وأخاه , ولأنك تقول البيت وابن عمه)[٣].

فقد طور ابن طباطبا العلوي موقف ابن قتيبة من بناء النص الابداعي, وعدَّ من أوائل النقاد الذين تناولوا عملية البناء بشكل صريح وواضح إذ أشار إلى أهمية انتظام القول في الشعر انتظاماً : (يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله , فإن قدَّم بيتاً على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها)[٤]، وفرق بين القصيدة التامة البناء والقصيدة الناقصة فشبه القصيدة التامة بالقصور المشيدة والأبنية الوثيقة الباقية على مرّ الدهور, والثانية بالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح وتوهيها الأمطار ويسرع إليها البلاء ويخشى عليها من التقوض[٥].
إنَّ ابن طباطبا في هذا الإدراك لبناء النص الإبداعي يؤمن بالصياغة الشعرية القائمة على التخطيط المسبق, وعلى الرغم من تعدد الموضوعات إذ تتبع المراحل التي يجب على الشاعر أن يخطوها ابتداءً من وضعه الفكرة التي تستدعي قول الشعر حتى نضوجها على شكل قصيدة كاملة , وقد أشار الدكتور عزالدين إسماعيل إلى أنه لم يجد من وصف العملية الشعرية وصفاً مفصلاً مثل ابن طباطبا[٦].

إنَّ صنعة الشعر ومراحلها منذ اللحظات الأولى حتى نضوجها وإخراجها بنص إبداعي يوجزها ابن طباطبا في قوله: (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً, وأعد له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه, والقوافي التي توافقه , والوزن الذي سلس له القول عليه , فإذا إتفق له بيت يشاكل المعنى ,الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه ,من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه , بل يعلق كل بيت يتفق له نظرة على تفاوت ما بينه وبين ما قبله , فإذا كملت له المعاني وكثرت الأبيات وفق ما بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكاً جامعاً لما تشتت منها , ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ونتجته فكرته, فيستقصي انتقاده ويروم ما وهي منه , ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية , وان اتفقت له قافية قد شغلها في معنىً من المعاني, واتفق له معنىً آخر مضاد للمعنى الأول , نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن وأبطل ذلك البيت , أو نقض بعضه , وطلب لمعناه قافية تشاكله)[٧].

فابن طباطبا فصل بدقة عملية الإبداع بهذا النص الأمر الذي يتفق عليه الكثير من الدارسين المحدثين , فالدكتور محمد زغلول يصنف هذه العملية بقوله : (يرى ابن طباطبا أن الخلق الشعري يتم على ثلاث مراحل : الفكرة, وهي تلك المعاني المنثورة في الفكر , التي تدوم فيه اثر انفعال الشاعر بموقف أو موضوع ما)[٨], وبهذا يرى ابن طباطبا: (أن الفكر هو المحرك الأساس في المرحلة الأولى من الصنعة)[٩], وفي هذه المرحلة يرى الدكتور عبد السلام عبد
الحفيظ : (أن في الإمكان أن يستحضر الشاعر فكرته قبل البدء فيها نظما, بل لابد له من ذلك وأن يعيش أفكاره أو يعايشها, فكلما ازدادت معايشة لها ازداد بها فهماً , ولها عمقاً , وحسن تصويره لها, وجمل تشكيله إياها ,فقوي أثرها
لدى المتلقي)[١٠] , وبهذا فإن الدكتور عبد السلام قد ألزم الشاعر بأن يتعايش مع فكرته التي يروم القول فيها قبل إنشاء النص , وهذا بطبيعة الحال يتنافى مع ما سمعنا من أن الشعر يأتي في كثير

من الأحيان عفواً أو مرتجلاً, إذ إنَّ الوحدة الفنية الجامعة بين الشعر والنثر مالكة عقل ابن طباطبا حتى بعد أن تنتظم هذه الفكرة بشكل قصيدة ويحاول الشاعر ربط أبياتها ربطاً وثيقاً كما يفعل المترسل والكاتب البليغ في رسالته ومخاطباته[١١]. هذه الخطوة الأولى في عملية البناء الشعري تؤكد وبحسب بعض الدارسين رأي ابن طباطبا من أنّ العقل هو جماع الأدوات الشعرية ؛ لأنه يبدأ مع العملية الشعرية منذ البدء ويصاحبها حتى استوائها, وإن الشاعر مالكا لكمال عقله حين يخطو الخطوة الأولى في التفكير بالمعنى الذي يريد الشاعر إقامة القصيدة عليه , فنظم القصيدة لا يرد عفو الخاطر وإنما يكون العقل مالكاً لزمام الأمر منذ الخطوة الأولى في عملية الإبداع الشعري [١٢] , والدليل على ذلك الشاعر الإسلامي عبد الله بن رواحة حين دعاه الرسول(صلى الله عليه وسلم) بالرد على المشركين إّذ قال له(صلى الله عليه وسلم): كيف تقول الشعر إذا قلته ؟ فيجيب عبد الله: أفكر فيه ثم أقول.. وكان جواب عبد الله هو ما أراده الرسول (صلى الله عليه وسلم) التفكير في أمر المشركين ثم الرد عليهم بالوسيلة التي تؤثر فيهم... وبذا يأخذ الشاعر مكانه في النظر إلى أهمية ما يقوله والرسالة التي يحملها بكامل وعيه ويعبر عنها[١٣], إذ هو يبتعد ابتعاداً صارخاً عن مفهوم الغريزة, وإن الشعر لديه جيشان فكري قائم على الوعي التام المطلق.

أما المرحلة الثانية من عملية الإبداع فهي عملية التعبير ونعني بها (إخراج هذه الفكرة ومعانيها في ثوب الألفاظ المنظومة أبياتاً على الوزن المختار, دون ترابط أو ترتيب معين)(١٤), أي أنَّ الشاعر يقوم بنظم ما جال في ذهنه نثراً بألفاظ ملائمة للمعاني وأن يفكر بالوزن والقافية التي تلائم المعنى والطبع بحسب الدكتور جابر عصفور: (هو المحرك الأساس في هذه المرحلة) (١٥) , وفي هذه المرحلة لا يفترض ابن طباطبا أن تكون القصيدة مرة واحدة أو في مراحل متعددة تنثال انثيالاً يجعل أبياتها متسلسلة بوحي من اللحظات الشعرية التي يعيشها الشاعر إنما يفترض أن يكون الشاعر واعياً كلَّ الوعي مسيطراً على أفكاره التي ينظمها شعراً دون أن يقيد ذهنه بشكل القصيدة ووحدتها الموضوعية.

أما المرحلة الثالثة في عملية الإبداع الشعري فإنَّ الشاعر يخطو فيها خطوة أخرى بعد نظم المعنى الدائر في الذهن ووضعه في قالب القصيدة الذي أختاره ووزن واحد وقافية واحدة فصلها ابن طباطبا العلوي من خلال قوله : (ينبغي على الشاعر أن يتأمل في تأليف شعره وتنسيق أبياته , ويقف على حسن تجاورهما أو قبحه, فيلائم بينهما؛ لتنتظم له معانيها , ويتصل كلامه فيها, ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه أو بين تمامه فضلاً من حشو , ليس من جنس ما هو فيه , فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه, كما أنه يحترز في ذلك من كل بيت,فلا يباعد كلمة عن أختها , ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها)[١٦].

فهذه المرحلة وبحسب الدارسين المحدثين (مرحلة التثقيف, أي ربط الأبيات المتفرق بعضها عن بعض, ومراجعة الألفاظ وأجزاء التعديل الملائم , والموافقة بين القوافي والمعاني , حتى يتم للشاعر بناء القصيدة بالصورة التي يريد ,والتي توافق المعاني , التي تفاعل معها , وقامت في ذهنه)[١٧].

لم يبتعد الدكتور أحمد مطلوب كثيراً عن هذا التصور . إذ قال: (بعد أن ينتهي الشاعر من قصيدته يعيد النظر فيها, ويهذبها وينقحها , ويلقي الغث من أبياتها , ويقتصر على ما حسن وفخم بإبدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوي أجزاؤها , وتتضارع هواديها وأعجازها)[١٨]. وثمة الكثير من التفسيرات التي تصب في إناء رئيس واحد بسبب وضوح نصّ ابن طباطبا حول مراحل الشعر الثلاث المتعلقة في عملية بناء النص الإبداعي .

ويبدو من سياق كلام ابن طباطبا (أن نهج أصحاب الرسائل يعني لديه اتصال البيت بالآخر وارتباط كل غرض من أغراض القصيدة مع سابقه)[١٩].

ويرى الدكتور إحسان عباس أنَّ ابن طباطبا ألح على مبدأين يكفلان بناء القصيدة بناءً كاملاً , وهما (مبدأ التناسب وهذا المبدأ يحقق للقصيدة المستوى المطلوب من الجمال , والثاني التدرج المنطقي , وهو يحل محل الترابط المعنوي عند ابن قتيبة)[٢٠].

إن الواضح من هذا البناء إيمان ابن طباطبا بالصياغة الشعرية القائمة على التخطيط المسبق , وعلى الرغم من تعدد الموضوعات, أي إنَّ وحدة قصيدته وحدة بناء, وقد لاحظ ذلك الدكتور إحسان عباس إذ قال: (فتلك هي الغاية الكبرى ن هذا التدقيق في التوالي والتدرج وإقامة العلاقات بين الأجزاء)[٢١] .

إذ إنَّ التوالي وإقامة العلاقات والتدرج بين الأجزاء والصورة الصناعية لا تفارق خيال ابن طباطبا في عمل الشعر,
فالشاعر تارة كالنساج الحاذق[٢٢], وتارة كالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه, ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان , وتارة هو كناظم الجوهر يؤلف بين النفيس الرائق ولا يشين عقوده برص الجواهر المتفاوتة نظماً ونسقاً[٢٣], ومن ثم تصور ابن طباطبا الوحدة في العمل الفني كالسبيكة المفرغة من جميع أصناف المعادن[٢٤] حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغاً ... لا تناقض في معانيها ولا واهية في مبانيها ولا تكلف في نسجها[٢٥] تلك هي صورة الوحدة عند ابن طباطبا الذي لا يعرف إلا التأني العقلي الواعي في التقدير والرصف ومثلما فعل ابن طباطبا في تصوره لعملية النظم وضع حازم تصورا مماثلا لذلك, فنظم القصيد عملية واعية (لأن النظم صناعة آلتها الطبع)[٢٦], إذ تحدث عن صناعة القصيدة عبر مراحل صناعية متعاقبة تتوالاها في كل مرحلة قوة أو ملكة مستقلة بحيث تبدأ القصيدة في التكوين مع إدراك الشاعر للتناسب المنطقي بين الأشياء انطلاقاً من قوله: (لما يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء أخر تشبهها , وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال)[٢٧], ثم ينتقل الشاعر في البناء عبر مراحل أو حالات أربع , الأولى: أن يحظر الناظم مقصده في خياله ذهنه تبعا للفكر في عبارات نثرية ثم يوردها في نظمه , والثانية : أن يتخيل لتلك المقاصد طريقةً واسلوباً متجانساً أو مختلفاً ينحو بالمعاني نحوها وأنْ يقسم هذه المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ بما يليق بمقصده ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به, والثالثة: أن يتخيل

ترتيب المعاني في تلك الأساليب , والرابعة: أن يتخيل تشكل تلك المعاني وقيمها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارة من الكلم التي تتوازن وتتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبني الروي عليه فيصيرها موزونة[٢٨].

يقول حازم: (اعلم إنَّ خير الشعر ما صدر عن فكر ولع بالفن)[٢٩], وهنا يعني صدق الإحساس بالتجربة الواقعية النابعة من القلب, وبهذا فإنَّ عملية الإبداع والبناء عند حازم أبعد ما تكون عن العفوية والارتجال, وأقرب ما تكون إلى الصنعة والفعل الواعي.

لم يكتف حازم القرطاجني بتحديد هذه المراحل لدى المبدع التي ربّما تحدث إشكالاً لدى من يبدأ في العمل الشعري فتابع تلك المراحل بالتفسير , يقول الدكتور جابر عصفور : (وكما قال حازم ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبنى الروي عليه , وفي هذه الحال أيضا يجب أن يجعل مبدأ أو مفتتحا للكلام , ولا ينبغي بعد ذلك إلا النظم الفعلي والانتقال من مرحلة التخطيط أو الكليات إلى مرحلة التنفيذ أو الجزئيات , وما يصاحب التنفيذ من تزيين للمعنى وتكميل له على نحو لا بد أن يذكرنا بكيفية الصنعة, ومراحلها عند ابن طباطبا العلوي (ت:٣٢٢هـ) ولا يختلف حازم جزئياً عن ابن طباطبا في فهمه لتشكيل القصيدة)[٣٠].

وقال حازم: (يجب للشاعر إذا أراد نظم شعر ـ وكان الزمان له منفسحاً والحال مساعدة أن يأخذ نفسه بوصية أبي تمام الطائي لأبي عبادة البحتري في ذلك ويهتم بها , فإنّها تضمنت جملاً مفيدة بما يحتاج إلى معرفته والعمل يحسبه صاحب هذه الصناعة)[٣١], فعلى ما يبدو أنّ حازماً قد أفاد من علم النفس في هذا الجانب (لا يتجاوز تعميق ما سبق

أن قرره ابن طباطبا من قبل , فطبيعي أن يفترض حازم إمكانية أن ينظم الشاعرقصيدته وهو قليل الهموم صفر من الغموم)[٣٢], وهذا الافتراض (يتناسب مع الفهم المنطقي الذي يجعل من حركة الإبداع, حركة شكلية تتحرك بدوافع باردة خالية من التوتر الذي يؤرق (الأنا) ويصاحب فعلها الإبداعي)[٣٣].

لم يلتفت حازم إلى مناقضة هذا الفهم لما سبق أن قاله عن البواعث الذاتية للشعر, وما أكده في أن (أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين)[٣٤], أي لابد أن يكون (الأثر الأدبي يحمل تمام الإحساس به كشكل ديناميكي)[٣٥], ثم تحدث حازم فيما يجب اعتماده في الفصول وترتيب بعضها مع البعض على وفق أربعة قوانين, الأول في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها, والثاني في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض, والثالث في ترتيب ما يقع في الفصول , والرابع ما يجب أن يقدم في الفصول ويؤخر[٣٦] , فأما القانون الأول في استجادة بعض الفصول وانتقاء جوهرها (فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد غير متخاذلة النسج, غير متميز بعضها عن بعض التمييز الذي يجعل كل بيت كأنّه منحاز بنفسه لايشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية

يتنزل بها منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر, والقصائد التي نسجها على هذا مما تستطاب)[٣٧].

فهو يريد من الفصول أن تكون محكمة النسج متراصة متماسكة تستريح إليها النفس ولا تمجها الإسماع , وقال: (ينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض فتعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلا والعذوبة في النسيب, وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر)[٣٨] فهو يوصي إلى أن تكون رتب الألفاظ والمعاني مناسبة للغرض المقصود, فضلا عن اشتراطه التوازن والتناسق الكمي والنوعي بين الفصول , أي أنه يريد أن تكون صفحات الفصل الأول مقاربة لصفحات الفصل الثاني , وأن تكون المعلومات التي يحتويها الفصل الأول على نفس القدر والأهمية لمعلومات الفصل الثاني .

وأما القانون الثاني (فيجب أن يقدم ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود من الكلام , ويكون مع ذلك متأتيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ. ويتلوه الأهم على الأهم....وتقديم الفصول القصار على الطوال أحسن من أن يكون الأمر بالعكس)[٣٩], فهو يريد ترتيب الفصول بحسب عناية النفس والغرض المقصود من الكلام والتأني باختيار العبارة اللائقة وحسب الأهمية , فالشاعر القادر على هذا هو الشاعر بحسب تعبير حازم القادر على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة عنها من غير ظهور تشتت في كلامه , وأن يتدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض , وإن يبدأ بالفصول القصار استناداً إلى قاعدة البدء بالأيسر[٤٠].

وأما القانون الثالث: (فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله , وأن يأتي مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف كان أبهى لورود الفصل على النفس)[٤١] , فحازم يؤكد على الملائمة
والتشكيل, إذ يرى بعض المحدثين أنَّ كلَّ شيء (تشكيل قبل أن يكون جمالاً , والتشكيل هو الانسجام بين الأشياء,
أو التوازن ؛ لذا فإنَّ القصيدة الجيدة هي بالدرجة الأولى القصيدة المتكاملة المتوازية المنسجمة عناصرها)[٤٢].

وتحدث حازم في القانون الرابع في ما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختم به , وكان العمل الأدبي في شكله ومضمونه (وعاء تعبيري وما يرتبط به من صيغ وحيل , ولطائف , وتراكيب. ثم يُملأ هذا الوعاء ويلتحم به من فكر وعواطف ودلالات)[٤٣].

وقد تنبه حازم إلى قضية التوافق أو التناسب بين اسلوب البناء , وبين الأحوال النفسية , والقدرة على استيعاب انفعالات النفس والتعبير عنها بما يحسن عنه في النفس , يقول حازم: (فأما ما يجب اعتماده في تعيين موقع الأسلوب من النفوس , فذكر أفضل الأحوال الطيبة والسارة وأجدرها ببسط النفوس , وذكر أعلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترق لها النفوس , وذكر أدعى الأحوال الفاجعة إلى الإشفاق والجزع حيث يقصد قصد ذلك)[٤٤], وبهذا فإنَّ حازم

القرطاجني أراد بناء نص شعري ذات قيمة جمالية تقوم على أساس التناسق والتوازن بين فصوله.

لقد تأثر حازم بمنهج أرسطو في عملية بناء النص لكنَّه احتذى بالنقد العربي بشكل أوسع , إذ هو أراد إيصال شيء إلى المتلقي العربي يستطيع فهمه؛ لأنَّ (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً)[٤٥].

وبذلك يكون البناء الشعري عند حازم ليس بالوحدة اللفظية وحسب بل بالوحدة المعنوية التي تتحقق من خلال الاتصال المعنوي لفصول القصيدة الواحدة , وإنَّ حازم القرطاجني في نظرته الشمولية إلى بناء القصيدة الكلي وتدخله في تفصيلات الصياغة تذكرنا بالطريقة التي انتهجها ابن طباطبا في اعتماده نهجاً صناعياً للقصيدة العربية .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المتواضعة في رحاب (البناء الكلي للنص الشعري في النقد العربي القديم) أخلص إلى القول بأنَّ النقاد القدامى لم يدرسوا البناء الكلي للقصيدة العربية , إذ إنَّ جهودهم انصبت في أغلبها على دراسة أجزاء القصيدة منفصلة باستثناء ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) الذي أشار إلى مفهوم البناء الكلي للقصيدة العربية في كتابه (الشعر و الشعراء) .
إنَّ أول من وقف وفصل القول في عملية البناء الكلي للنص الشعري ابن طباطبا في كتابه (عيار الشعر), إذ إنّه يؤمن بالصياغة الفنية القائمة على التخطيط المسبق , وإنَّ نظم الشعر عنده لا يرد عفو الخاطر ولا في لحظة إلهام لا صلة للوعي بها , أو لا سيطرة للعقل عليها , بل إنَّ العقل مالك لزمام الأمور منذ اللحظة الأولى وإنّ القصيدة تمر عبر مراحل صناعية .
لا نكاد نجد ناقداً آخر أولى البناء الكلي للقصيدة الاهتمام الذي يستحقه بعد ابن طباطبا العلوي حتى منتصف القرن الخامس الهجري , وما أنْ نصل إلى حازم القرطاجني حتى نجده قد وضع تصوراً مماثلاً لتصور ابن طباطبا في بناء النص وقد اقترب منه كثيراً. إذ إنَّ كلا الناقدين تحدثا عن صناعة القصيدة عبر مراحل .
إنَّ عملية البناء و الإبداع عند حازم لم تكن عفوية وارتجالاً بل هي أقرب ما تكون إلى الصنعة و العقل الواعي. فقد وضع حازم أربعة قوانين لترتيب فصول القصيدة , والذي أراد منها أن تكون محكمة النسيج متراصة مناسبة للغرض جزلة فخمة.
دعا حازم إلى إيجاد نوع من التوازن و التناسق بين أجزاء القصيدة , أي أراد توازناً كمياً في المقادير من حيث الطول والقصر , ونوعياً من حيث الأهمية والأثر , كما وأراد ترتيب الأجزاء أو الفصول بحسب عناية النفس بها.
تأثر حازم بمفهوم أرسطو في بناء النص لكنه احتذى بالنقد العربي بشكل أوسع , وإن نظرته الشمولية للبناء النصي و تدخله في تفصيلات الصياغة تذكرنا بالطريقة التي انتهجها ابن طباطبا.

هوامش الدراسة

١ـ ينظر الشعر و الشعراء , أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ), دار الحديث للطباعة والنشر ,
القاهرة , ١٤٢٣هـ , ج ١, ص ٧٤ـ٧٥

٢ــ أسس النقد الأدبي عند العرب , د .أحمد أحمد بدوي , دار نهضة مصر للطباعة والنشر ,١٩٩٦م,ص٣٢٠

٣ـ الشعر و الشعراء ١/ ٩٠

٤ـ عيار الشعر , محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت : ٣٢٢هـ), تحقيق : عبد العزيز صالح المانع , مكتبة
الخانجي , القاهرة , د.ت , ص ١٣١

٥ـ ينظر المصدر نفسه

٦ــ الأسس الجمالية في النقد العربي, عز الدين إسماعيل , دار الفكر العربي, مصر , ١٩٥٥م,ص٢١٨

٧ـ عيار الشعر/ ٨

٨ـ تأريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري , د. محمد زغلول سلام, دار المعارف, مصر, ج١,ص٥٦

٩ــ مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي , د. جابر عصفور, المركز العربي للثقافة و العلوم,١٩٨٢م,ص٤٥

١٠ــ نقد الشعر بين ابن قتيبة و ابن طباطبا العلوي , د. عبد السلام عبد الحفيظ , دار الفكر العربي, مطبعة
دار القرآن , ١٩٧٨م , ص٢١٠

١١ـ ينظر عيار الشعر /١٢

١٢ـ ينظر محاضرات في تأريخ النقد عند العرب , د. ابتسام مرهون الصفار , د. ناصر حلاوي , وزارة التعليم

العالي و البحث العلمي , جامعة بغداد , ط٢, ١٩٩٩م, ص١٨٩

١٣ـ لم أجد الحديث في كتب الحديث, ووجدته في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣ه) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط٥, ١٩٨١م,ج١, ص٢١٠

١٤ـ تاريخ النقد العربي , د. محمد زغلول سلام ٥٦/١

١٥ـ مفهوم الشعر/٤٥

١٦ـ عيار الشعر/ ٢٠٩

(١٢)

١٧ـ تاريخ النقد العربي, د. محمد زغلول سلام٥٦/١

١٨ـ اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري , د. أحمد مطلوب , بيروت , ط٢, ١٩٧٣م,ص١٠٩

١٩ـ بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم و المعاصر , مرشد الزبيدي , وزارة الثقافة و الإعلام , دار

الشؤون الثقافية العامة, بغداد , ١٩٩٤, ص٦٨

٢٠ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب , نقد الشعر من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثامن الهجري ,

د. إحسان عباس , دار الشروق للنشر والتوزيع , عمان, الأردن, ١٩٨٦م, ص٣٢

٢١ـ المصدر نفسه /١٣٨

٢٢ـ عيار الشعر/٥

٢٣ـ المصدر نفسه /٥ـ ٦

٢٤ـ المصدر نفسه / ١٠

٢٥ـ المصدر نفسه /١٢٦ـ١٢٧

٢٦ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء , أبو الحسن حازم القرطاجني (ت :٦٨٤هـ), تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة

, دار الغرب الإسلامي , بيروت , ط٣ , ١٩٨٦, ص ١٩٩

٢٧ـ المصدر نفسه /٤٢

٢٨ـ ينظر المصدر نفسه /١٠٩

٢٩ـ المصدر نفسه / ٣٤١

٣٠ـ مفهوم الشعر /٤٥٤, وينظر منهاج البلغاء /١٠٩

٣١ـ المصدر نفسه /٢٠٢

٣٢ـ مفهوم الشعر /٤٥٤

٣٣ـ المصدر نفسه/٤٥٤

٣٤ـ منهاج البغاء / ٢٤٩

٣٥ـ نظرية المنهج الشكلي(نصوص الشكلانين الروس) ترجمة , د. إبراهيم الخطيب , بيروت ,ط١,

١٩٨٢م, ص٧٧

٣٦ـ ينظر منهاج البلغاء /٢٨٨

٣٧ـ المصدر نفسه/٢٨٨

٣٨ـ المصدر نفسه / ٢٨٨

٣٩ـ المصدر نفسه /٢٨٩

٤٠ـ ينظر دراسات بلاغية ونقدية , د. أحمد مطلوب , دار الحرية , بغداد , ١٩٨٠م, ص ٣٧٦ وما بعدها

٤١ـ منهاج البلغاء / ٢٨٩

٤٢ـ مقالات في النقد الأدبي . أسامة فوزي , منشورات وزارة الثقافة و الأعلام , العراق ,١٩٨١م,ص٢٥

٤٣ـ مملكة العجز, علي جعفر العلاق , دار الرشيد , بغداد , ١٩٨٧م, ص١٢٤

٤٤ـ منهاج البلغاء /٣٥٧

٤٥ـ البيان و التبيين , أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ), تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون,

مكتبة الخانجي , القاهرة , ط٧, ١٩٨٨م, ج١,ص٧٥

مصادر الدراسة

ـ اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري , د. أحمد مطلوب , بيروت , ط٢ , ١٩٧٣م.

ـ الأسس الجمالية في النقد العربي , عز الدين إسماعيل , دار الفكر العربي, مصر , ١٩٥٥م.

ـ أسس النقد الأدبي عند العرب , د . أحمد أحمد بدوي , دار نهضة مصر للطباعة و النشر , ١٩٩٦م.

ـ بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم و المعاصر , مرشد الزبيدي , وزارة الثقافة و الأعلام ,

دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد , ١٩٩٤م.

ـ البيان و التبيين, أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ), تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون

, مكتبة الخانجي , القاهرة , ط٧, ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب , نقد الشعر من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثامن الهجري ,

د . إحسان عباس , دار الشروق للنشر و التوزيع , عمان , الأردن , ١٩٨٦م.

ـ تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري , د . محمد زغلول سلام , دار المعارف, مصر.

ـ دراسات بلاغية ونقدية , د. أحمد مطلوب , دار الحرية , بغداد , ١٩٨٠م.

ـ الشعر و الشعراء , أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ), دار الحديث للطباعة والنشر , القاهرة

, ١٤٢٣هـ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣ه) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط٥, ١٩٨١م,ج١

ـ عيار الشعر, محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي , (ت:٣٢٢هـ) , تحقيق : عبد العزيز صالح المانع ,

مكتبة الخانجي , القاهرة , د.ت .

ـ محاضرات في تاريخ النقد عند العرب , د . ابتسام الصفار , د . ناصر حلاوي , وزارة التعليم العالي ,

جامعة بغداد, ط٢, ١٩٩٩.

ـ مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي , د . جابر عصفور, المركز العربي للثقافة و العلوم ,١٩٨٢م .

ـ مملكة العجز , علي جعفر العلاق , دار الرشيد , بغداد , ١٩٨٧م .

ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء , أبو الحسن حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ), تحقيق : محمد بن الخوجة

, دار الغرب الإسلامي , بيروت , ط٣, ١٩٨٦.

ـ نظرية المنهج الشكلي(نصوص الشكلانيين الروس) , ترجمة , د. إبراهيم الخطيب, بيروت , ط١, ١٩٨٢م .

ـ نقد الشعر بين ابن قتيبة و ابن طباطبا العلوي , د. عبد السلام عبد الحفيظ , دار الفكر العربي , مطبعة

دار القرآن , ١٩٧٨م.